العربية
تفتح المغلقات

للاب أنستاس مارى الكرملى

١ — توطئة

ذكرت مراراً لا تحصى ، ان فقهاء اللغة من ابناء الغرب ، ألفوا تاليف كثيرة أوضحوا فيها ما لبعض الكلمات من الصلات بعضها ببعض ، وأحسن من ألّف في اللغة اليونانية ومجانسة كلها لما في سائر الالسنة هو أميل بوازاق (Emil Boisacq) وأحسن ما ضاهاهُ في هذا الامر للغة اللاتينية هو الالماني الشهير (أ . والدي A. Walde) . واما اجلّ من وضع مثل هذين التصنيفين في العربية وسائر الالسنة فهو هرمّان منز فقد ألّف معجماً سماهُ « وحدة الالفاظ الهندية الجرمانية والسامية وعنوانهُ بالالمانية [1]

ومع كل ما أفرغ هؤلاء جهدهم في متابعة بحوثهم البديعة ، فانهم فاتهم امور لا تحصى في اللغة العدنانية ، لانهم لم يتفرّغوا لدرسها ولا لاستقصاء ما فيها من الكنوز والدفائن ولهذا كان سعيهم خيداجاً . وهاءنذا أتعرّض هنا لذكر بعض ما فات اولئك الجهابذة اولي الفضل

٢ — هبط و٢ — حط

يذكر علماء العصر ان الانسان القديم سكن في بدء امره المغاور والكهوف في اعالي الجبال لان السهول كانت يومئذ مغمورة بالمياه وليس فيها موطئ يابس لقدميه . وكان يتحدر المرء من أعالي مساكنه كلما نقصت المياه وبدت الارض اليابسة حتى سكن الجزون فالسهول . ولهذا قالت العرب منذ اقدم الازمنة : هبط الرجُل الرجُلَ من الجبل يهبطهُ هبطاً من باب نصر : أنزلهُ . وهبط فلان كذا : دخلهُ وادخلهُ ، لازم متعدّ وهبط الرجل يهبط (بالضم) ويهبط (بالكسر) هبوطاً : نزل . والوادي : نزلهُ . ومن موضع الى موضع آخر : انتقل . فهذا كلهُ يصف لنا حالة سكنى الانسان الاول الجبال ثم انحدارهُ الى السهول ثم نزوله الاودية بعد نضوب مياهها

أما اللاتين فيقولون في معنى سكن (Habitare) ويظن «والدي» ومن تابعهُ ان اصلها من Habere اي الحصول على الشيء والظفر بهِ والقبض عليهِ . وقد وافقهُ على هذا الرأي كثيرون ومنهم

(1) Hermann Möller.—Vergleichendes indogermanisch—deutsches Wörterbuch.—Göttingen.—Vanderhoeck & Ruprecht—1911

ميشيل بريآل في كتابه معجم اصول الالفاظ اللاتينية ص ١٢٦ الطبعة الحادية عشرة [1]

فانت ترى من هذا ان اللغويين الغربيين غير مصيبين في ما ذهبوا اليه . وعندنا ان العربية تحل هذا المغلق احسن حلّ . ولا يقدر احد ان يعترض على هذا الا من اجل الغرض او لا يريد ان يرى في لغتنا هذه الشريفة انها تحلّ الغوامض وتزيل المشاكل

ونزيد على ما تقدم ان اصل (هبط) : (حَبَطَ) والخط هو انحدار الرجل من علو الى سفل وانما نقول ذلك ، لان كل فعل ثلاثي لا بد من ان يرجع الى فعل ثنائي ، اي الى ابسط وجه يمكن ان ينطق به — وكان يحسن ان يقال في اول الامر (حبط) في اول الوضع ، لكن الظاهر ان العرب خصوا الحبط بالمجاز والهبط بالاصل . قالوا : حبط عمله يحبط حبطاً كعلم : بطل اي انحط من حالته الحسنى العالية الى الحالة السيئة . وخصوا هبط بالمعنى الواقع كما رأيت

٤ً — فكّ و ٥ً — فَسَقَ

للاتين كلمة هي (Pecare) للدلالة على معنى اخطأ واذنب . ولم يستطع احد ان يعرف كيف وصلت هذه الكلمة الى الرومان ولا من اي لغة جاءتهم . قال « والدي » انها تجانس اليونانية (Piptō) اي سقط ، وكل من له ادنى نظر في معرفة مقابلة اللغات واصولها ، لا يسلم هذا الفاضل بما ذهب اليه ، فان هذا الرأي من صدق لهجة اللغويين الفرنسيين ميشيل بريآل Michel Bréal واناطول باي Anatole Bailly القائلين في معجمهما الذي ذكرناه فوق هذا . وهذا معرب كلامهما : Decipio يدل على الاهمال والنقص اما Pecco فهي الخطأ الحقيقي . واصل الكلمة مظلم ويُرى في اللغة الأُمبرية بصورة Peccatu المعادل لقولهم Peccatum وهذا ما يدفع الظن الى ان تشديد الحرف C هو من قبيل الرسم لا غير على حدّ ما جاء في Buccina اه

اما نحن فنقول ان حلّ هذا المغلق وإنارة هذا المظلم لا يرى الاّ في لغتنا ، فانا ان حذفنا من آخر الفعل Pecare اداة المصدر اي Re بقي لدينا Pecca وكذلك نجد إذا حذفنا من آخر Peccatum ما كسيع به آخرها اي Um . ويقابل Pecca من حروفنا العربية « فكّ » فيتضح لنا ان الخطيئة هي « فكّ » شريعة الله من عُرى التعلق به تعالى . ولو قلنا إنها « فق » لما اخطأنا ايضاً لان معنى فَسَقَ فتح وفتح عُرى الدين مثل فكّها لا فرق بينهما

ومما يثبتنا في هذا الرأي ويقوينا فيه ان علماء الغرب قالوا ان الدين او الديانة في لسانهم يعرف او تعرف بلفظ Religio وهي مركبة من كلة واداة . فالاداة هي Re ومعناها التكرار والتوكيد والاعادة ، و Ligio مأخوذة من Ligare ومعناها الربط والشدّ . فيكون معنى الدين في لسانهم إكرباط الانسان بالله خالقه ربطاً محكماً ! . فاذا كان الدين على رأيهم هو الربط

(1) Michel Bréal et Anatole Bailly —Dictionnaire etymologique latin. 11. édition., Paris. Librairie Hachette. 76, Boulevard St. Germain.

الله فتكون الخطيئة « فتقٌ » هذه السترة او هذا الرباط او هذا القيد . فأحبّ هذا التأويل وما اقربهُ الى الحق والصدق والعلم الصحيح :

٦ — الكَلَفة

يقول علماء الروح ان النفس اذا لوثت بالخطيئة يقع فيها شيء كالوسخ ، لكن دون النفس غير دون الجسد فالدرن المادي يُرى . واما الدرن الروحي فلا يرى انما الاثر ظاهر في السيرة والسيرة لا غير . ولهذا سمّى اللاتين هذا الاثر في النفس « كُلْفة » اي Culpa فقد قال فقهاء تلك اللغة ان كلمتهم مشتقة في القديم من معنى الضرر والشرّ المادي كما ورد في قصائد ڤرجيل Georg. III. 458 وجمع معجم ميشيل بريال وأناطول باڤي ص ٥٤ في العمود الاول . ويقارب هذا القول ما ذهب اليه الفقيه اللغوي الالماني «أ . والدي» . لكن اين هذا التأويل من تأويلنا ؟

قال في لسان العرب : « الكَلَف : شيء يعلو الوجه كالسمّ : كلف وجههُ يكلف كَلَفاً . وهو أكلف تغيّر . والكلف والكَلَفة : حمرة كدرة تعلو الوجه . وقيل : لون بين السواد والحمرة . وقيل : هو سواد يكون في الوجه . وقد كلِف . وبعير أكلف ، وناقة كلفاء وبه كَلَفة . كل هذا في الوجه خاصة وهو لون يعلو الجلد فيغير بشرته . . . » الى آخر ما قال وهو كلام طويل فاجتزأنا بما ذكر ومن اراد الاطالة فعليه بمطالعة المعجم المذكور

ثم لاحظ قولهُ : « كل هذا في الوجه خاصة » وهذا رأي الروحانيين والسالكين الى الله ان الخطيئة تدنس وجه النفس وتطبع فيه سمة العار التي لا يمحوها الا الرجوع الى الله بالتوبة والكفارة

ومما يزيد هذا الرأي رسوخاً ان علماء اللغة من العرب سموا الآثار التي تعلو وجه الشمس بالكَلَف وزان شَرَف فهذا كلهُ يدفعك الى ان تقول ان اللغة العربية هي حقيقة من ابدع اللغات لانها تحلّ الرموز وتزيل كل إشكال

٧ — المَحْل

تتبع في الفاظ هذه الاحداث التي جرت للخاطىء الاول وما فعلتْ في نفسه المعصية فانها دلست نفسهُ وطبعت فيها طبعةً خاصة هي الكلفة ، ولكن لا يجهل الانسان الباحث ان هذا الاثر يحدث في النفس شرًّا لم يكن فيها بادىء الامر . وهذا الشرّ يسميه اللاتين Malus واذا سألتهم من اين جاءتكم هذه اللفظة ، قالوا لك أقوالاً لا تقنعك (راجع معجم ا . والدي ص ٤٥٧) واما ميشيل بريال وأناطول باڤي فقد اقرّا بالحق فقالا : « كلمة Malus بمعنى الشرّ تُرى في اللغة الأسْتيَّة Osque وتكتب فيها Mallus (اي بتضعيف اللام) اما اصلها فلا يعرفهُ احداً . انتهى قول اللغويين الفرنسيين وهما صادقا اللهجة في ما يكتبانه

اما نحن فرأينا أن الكلمة العربية هي من العربية «مَحْل» وذلك ان الشرّ هو «شدة وجدب

وانقطاع آلاء النعم من انتقص « ينس ارضها » وهي لا تنبت حيراً . ومعنى المحل هو هذا كله كما اثبته لغويو العرب . وما على الباحث الا ان يتتبع اي كتاب لغة يقع في يده ليتحقق الامر بنفسه . فلو كان علماء العرب يتقنون كل الاتقان لغة العرب لما بحثوا عن المعاني في الوقت الذي يرون في هذه اللغة ما يقنعهم ويرضي عقلهم ومنطقهم، لكن يعز عليهم كما يعز على كل متعصب معاير للغة العربية ان يعترف لها بهذا الفضل على سائر اللغات وما هذا الا من الظلم البيّن الظاهر لكل ذي عينين

٨ — لطا يلطو

كان من نتيجة خطيئة الانسان الاول انه يخاف من طوارىء الجو والطبيعة وما الى ذلك وكان في بدء الامر اذا رأى المطر يشتد عليه ، او إذا رأى ما يخيفه لجأ الى صخرة أو كهف أو غار فاختفى فيه . فالاختفاء في أول الامر كان في مواطن طبيعية لا تكلفه تعباً ولا مشقة فكان يلجأ اليها . وقد سمّى اللاتين هذا الاختفاء Latio وقد جهد علماء اللغة ضمهم للبلوغ الى معرفة اصل الكلمة ووجودها في اللاتينية ، فاتفق جمهم من المان وانكليز وفرنسيين على ان الاصل يتصل باليونانية ، وأحسن من شرح هذا الموضوع اللغويان الفرنسيان ميشيل بريال وأناطول بابي في معجمهما فقالا ما هذا سناه في لغتنا العربية (راجع ص ١٥٢ في العمود الثاني)

« Latro هو المقابل الصادق معنىً واستعمالاً لليونانية lathuno قال اللاتين El Ble Lateo كما قال اليونانيون (tuto me luthuno) لكن T=Θ يوافق قليلاً لمادات اللغة اللاتينية وكان من المنتظر ان ينقل الحرف اليوناني Θ الى F (راجع Fora) او إلى B (راجع Ruber) او إلى D (راجع Medius) ، على انه يرى مثالان في اللاتينية مخالفين لذلك وهما قول اللاتين Rufus بجانب Rutilus و Ruber وقولهم Pud (بمعنى تألم) بجانب اليونانية (E-Puth-on) وقد عرض Corsson (في كتابه) (Beitrage, p. 790) تفسير Lateo أنها بدل Lad-Teo (وهو من اسم مشتق قديم هو Lad Tus راجع Egretta) و Rutilus بدل Rud-Tilus اه

قلنا : وفي كل ذلك من التحملات ما لا يخفى على أحد وما Lateo الا العربية لطا يلطو قال في تاج العروس : لطا يلطو اهمله الجوهري وقال غيره . اذا التجأ الى صخرة او غار . نقله الصاغاني في التكملة » انتهى . والظاهر ان هذه الكلمة قديمة في هذه اللغة وكاد تنسى ولعلهم اهملوها لعدم حاجتهم اليها . مع انهم لو دروا أنها تفسر مغلق ما في اللغات لتبضوا عليها بكل قواهم . وعلى كل حال فذكر الصاغاني لها — وهو من اعظم الاثبات اللغويين — اقوى دليل على وجودها في هذه اللغة من اقدم زمن

ومادة (ل ط ا) فروع منها . لطّ ولاط ، ولات ولاث الى غيرها وهي كثيرة اذا نظرنا إلى تنقل هذه الحروف الى صور شتى

قالوا في لطّ : لطّ عليه سره . ولطّ عنه الخبر : طواه وكتمه . ولطّ الباب : اغلقه ولطّ الستر أرخاه وكل شيء سترته فقد لططته . . . — وقالوا في لاظ الشيء يلوظه لوظاً . اخفاه — ولاث الرجل الخبر يلوثه لوثاً : كتمه وحبسه عن وجهه . وفيه معنى الاخفاء ايضاً — وفي لاث بالثلثة قالوا : وما لاث فلان أن غلب فلاناً اي ما حبس . ولو أردنا تتبع هذا البحث لاحدثنا الملل في صدور القراء

٩ — النحي و ١٠ الثأي و١١ — الثاوق

النِحْي والنَحْي (بالكسر وبالفتح) والنَحَى (بالتحريك) : الزِّق . وقيل: هو ما كان للسمن خاصة . الازهري : النحي عند العرب : الزق الذي فيه السمن خاصة . . . (عن ان منظور في كلام طويل لا محل لذكره هنا) وعندنا ان النحي هو الزق عامة ثم خصّص لوجود عدة ألفاظ لا تحصى لهذا المعنى ، فاستحسنوا تخصيص بعض المعاني بها توصلاً الى معرفة المقصود كما هو شائع في جميع لغات الارض

والذي اوجه النظر اليه أن الاقدمين لما أرادوا السفر على الماء او العوم عليه اتخذوا النحي لهذه الغاية، والباحث يرى بفائدة لا تقدر الآثار التي وجدت محفورة على بعض الآجر والصخر والمرمر وفيها صورة رجال يعبرون الانهار والمياه والاودية على ظهر « زق » او « نحي » — ثم لما أرادوا أن يسافروا جماعات على المياه ، جمعوا زقاقاً عديدة وضموا بعضها الى بعض ووضعوا عليها المَرَادي والخشب فكان لهم عليها محل للقعود والنوم والاكل والشرب. واسم هذا المركب القديم من عهد الآكديين والاشوريين والبابليين هو « الكَلَك » بكاف ولام مفتوحتين وفي الآخر كاف. وهذا الاسم الذي مضى عليه نحو ستة آلاف سنة معروف الى يومنا هذا في العراق وكان العرب يسمونهُ « الطوّف » بطاء وواو وفاء والى اليوم اذا اراد الاعرابي المجاور للمياه وادياً او مستنقعاً او بحيرة او نهراً عمد الى الزق الذي عنده دائماً ونفخه ووكاهُ (اي شدّ رأسهُ برباط) ركبهُ وجاز النهر به . وهذا يستطيع ان يشاهده كل انسان في ديار العراق المجاورة للانهر

هذا كان اول مركب للمرء حينما كان يحاول عبور المياه . وبقي هذا الاسم في اللاتينية بصورة Navis فان V (الفاء) الموجودة في آخر الكلمة (ولا عبرة بحرف S لانهُ حرف اعراب عندهم) منقولة عن الحاء العربية وقد بيّنا ذلك مراراً لا تحصى في مقالاتنا ، ومعنى Navis المركب . واذا سألت فقهاء اللغة اللاتينية من ان جاءتكم كلمكم المذكورة ، ذكروا لك ما يقابلها ويقاربها في سائر اللغات ، لكن لم يطلعوا على اصلها ولا على سرّ استعمالها . بل لم يفكروا قط إن الاصل عربي محض لا شكّ فيه ومن اقدم ما ورد في كلامهم

ومن تكلم على النحي Navis اللغويين الفرنسيان ميشيل بريال واناطول برّي في معجمهما النفيس البديع فقد قالا في ص ٢٩ في العمود الاول ما هذا معناه في لساننا : « ان الكلمة الاولية هي Nau ولما كانت اللاتينية لا تخلص اصوات تكلم بسهولة فالجاء الموحّد المزدوج الحرفين في الاصل ثقلت في التصريف الى I فقالوا Navis (وراجع Navis) ونولم Navigo Navigium و Navigo فيها منحوتان من Nau و Agere — ويجب ان تعتبر Navis و Nauta مقتبستين من اليونانية . واما الكاسة (ka) كما في Navicula و Navicella فهي كثيرة الورود في اليونانية لكنها نادرة كل الندرة في اللاتينية وكذلك Naus وهو الهُدام او دوار البحر فان أصله من اليونانية Nausia (nausia) و Naves بالسنسكريتية Nâus بمعنى الاناء وبايرلندية (Naue) تنظر الى الارلندية القديمة Nau بمعنى سفينة وفي الالمانية القديمة العالية nacho . فالملاحة — سواء أكانت على البحر ام على الانهار — كانت اذن معروفة قبل ان تفترق الامم شعوباً وقبائل » اه كلام اللغويين

قلنا : وهذا عين الصحة من جهة معرفة ركوب المياه قبل الافتراق والانفصال في البلاد . ولكنك ترى من بسط اللغويين لاصل الكلمة انهم جهلوا المعنى الاصلي الحقيقي وكيف بلغ الانسان الوصول الى ركوب البحار والانهار . فكلامنا المشروح السابق يطلعك على حقيقة الامر

ومن الغريب ان السلف اخذوا من اليونان كلمة « النوتي » بمعنى الملاّح وراكب السفينة ولم يأخذوها عن لغتهم فيقولوا مثلاً نَحْيي او ناحٍ او نحّاء وكل ذلك من باب الغلب ، لئلاّ يختلط عا يشتق من النحْو ولهذا فضّلوا الاقتباس على الاخذ بالاصل وفي ذلك من الحكمة ما لا يخفى على احد

ومما اشتقوهُ من مادة النحي وخففوهُ قول السلف النَّأي والنُّؤي والنيّ بتثليث النون ، والنُّؤى بضم فتح وهو الحفير حول الخباء أو الحديقة يمنع السيل ، فكأنهم نظروا في هذا اللفظ سلامة الخبّاء من الغرق على حدّ ما يكون حظ راكب النحي ليسلم صاحبهُ من الغرق

ومما جاء من هذه المادة الناوق . قال في محيط المحيط : الناوق بفتح الواو : الحفيرة المتقورة التي يجري فيها الماء في الدواليب او تمرض في النهر او الجدول ليجري فيها الماء من جانب الى جانب . معرب ناوه بالفارسية والجمع ناوْقان ، انتهى ولم يذكر احد اللغويين هذه اللفظة انما اخذها عن معجم فريتغ واظن ان هذا اقتبسها من تحفة اخوان الصفاء وقد وردت فيها وهي « النقير » في لغتنا ولم ينبه عليها احد . وقد تقدم القول ان « ناوه » ما هي إلاّ تخفيف « نحي » لعدم وجود أحرُف الحلق في اللغات اليافثية اي الهندية وما تفرع منها من لغات الفريقين على اختلاف قومياتهم

وهذا الموضوع واسع الاكناف يشتمل على امور بديعة لا تتحقق ولا تتجلى إلاّ لمن يعاني درس اللغة العربية . ولعلنا نعود مرة اخرى الى هذا البحث لما فيه من استجلاء الغوامض واظهار الحق لمن يريد ان يتبعهُ . وما كل آت ببعيد